

بحث بعنوان

مليح بن الحكم شاعر من هذيل

بقلم

د. سلامة عبد الله السويدي

مدرسة الأدب العربي

قسم اللغة العربية

جامعة قطر

خاص لمجالس قبيلة هذيل

www.hothle.com/vb

غازي الهذلي (ابو سعد)

خالد الهذلي (ابو غلا)

مليح بن حكم شاعر من هذيل

د. سلامة عبد الله السويدي

قسم اللغة العربية - جامعة قطر

(١)

مليح بن حكم شاعر من هذيل أهملته - على علو كعبه في فن الشعر - كتب الأنساب والتراجم كما أهملت عديداً غيره من شعراء هذيل ، وعبثاً نقبنا عنه في كل المصادر التي تتعرض لتراجم الرجال أو أنسابهم ، فلم نجد له ذكراً .

وربما كان إهمال كتب التراجم والأنساب لأعلام هذيل راجعاً لعنادهم ، وتأبيهم مدة على الدخول في الإسلام ، ولموقفهم المعادي له ، فقد استدرج وفد من هذيل فريقاً من صحابة رسول الله ﷺ وقتلوه في الرجيع كما هو معروف في التاريخ الإسلامي ^(١) ، كذلك فقد دلنا شعر أبي خراش الهذلي ، وهو من قوم مليح ، ومن البطن ذاتها في هذيل ، أن هذيلاً كانت متعاطفة مع المشركين في غزوة حنين ، وفي شعر أبي خراش بكاء على صاحب له أسر في هذه الغزوة ، وقتله واحد من المسلمين يدعى « جميل » وفي بكاء أبي خراش لصاحبه تحسر واضح على انطواء عهد الجاهلية وذهاب إخوان الصفاء ، يقول :

فوالله لو لاقيته غير مؤثقٍ	لأبَكَ بالجزع الضبَاعُ النواهلُ
وإنَّكَ لو واجهته إذ لقيتهُ	فَنَازَلْتَهُ ، أو كُنْتَ مَعْنِي يَنَازِلُ
لظِلُّ جَمِيلٍ أسوأ القَوْمِ تَلَّةُ	ولَكِنَّ قَرْنَ الظَّهْرِ للمرءِ شَاغِلُ
ولم أنسَ أياماً لنا وليالياً	بحلِيةٍ إذ نَلَقَى بها مَن نَحَاوِلُ
فليس كعهد الدَّارِ يا أمَّ مالكٍ	ولكن أَحَاطَتْ بِالرَّقَابِ السَّلَاسِلُ
وعَادَ الْفَتَى كَالْكَهْلِ لَيْسَ بِقَائِلٍ	سَوَى الْعَدْلِ شَيْئاً فَاسْتَرَا حَ الْعَوَاذِلُ
فأَصْبَحَ إخوانُ الصَّفَاءِ كَأَنَّمَا	أَهَالَ عَلَيْهِمُ جَانِبَ التُّرْبِ هَائِلُ ^(٢)

هذا موقف قوم مليح من الإسلام في بدايته ، وربما من أجل هذا أهمل ذكر مليح فيمن أهمل من شعراء هذه القبيلة وأعلامها .

وربما يرجع هذا الإهمال لشعراء هذيل إلى سبب آخر هو ذوبان قبيلة هذيل بعد الإسلام، فقد تفرق أبنائها ، وتوزعوا على الأمصار المفتوحة ، ففريق شرق ، وفريق غرب ، ولم يبق في ديارهم من يلفت النظر ويستحق الذكر .

قد يرجع إهمال المصادر العديد من أعلام هذيل إلى هذا السبب أو ذاك أو إليهما جميعاً ، ولكن هذه التفسيرات - في النهاية - دليل إخفاق في التعرف إلى شخصية «مليح» تلك الشخصية التي تختفي خلف ستار ضبابي كثيف ، وتنبهم أمامنا كل ملامحها وسماتها .

على أن شعر مليح ربما كان أفضل من صاحبه حظاً ، فقد تداوله ، على الأقل ، علماء اللغة يستشهدون به على معاني الغريب فنجد في اللسان^(٣) - مثلاً - ذكراً له في غير موضع وكذلك في التاج^(٤) والمخصص^(٥) ، والمحكم^(٦) ، والتكملة^(٧) ، وأساس البلاغة^(٨) ، وجمهرة اللغة^(٩) ، وورد ذكره أيضاً في كتب البلدان مثل معجم البلدان^(١٠) ومعجم ما استعجم^(١١) . والمشارك وضعاً^(١٢) .

وفيما عدا ذلك فليس ثم إلا الصمت ، اللهم إلا ما ذكره المازني في معجمه من أن المليح بن حكم الهذلي أحد بني قرد بن معاوية شاعر إسلامي^(١٣) ، وما ذكره السكري في شرحه لأشعار الهذليين حين ساق نسب مليح فقال : مليح بن الحكم بن صخر بن أقيص بن عمير بن زيد بن إلياس بن سهم القردي قرد بن معاوية بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة ابن إلياس بن مضر بن نزار بن معد^(١٤) .

وما نظن أن ما ذكره المازني ، والسكري يشفي غليلاً أو يخرجنا من الدائرة المعتمدة التي ندور فيها نتلمس شيئاً عن مليح .

وإزاء هذا كله لم يكن أمام مؤرخي الأدب المحدثين إلا استنطاق شعر مليح لعله يشي بشيء من ملامحه ، وطبعي - والشعر هو المصدر الوحيد للتعرف إلى الشخصية - أن تتفاوت النتائج حسب دقة الفهم ، ودقة الملاحظة ، ورهافة الحس .

فكل ما لاحظته بلاشير مثلاً أن شعر مليح ذو طابع إسلامي ولكنه توقف فيما وراء ذلك فقال : إننا لا نعرف عنه شيئاً ، وإن كان قد رجح أنه اشترك في بعض غزوات الرسول^(ص) .

أما سزكين في كتابه تاريخ التراث العربي فقد ذكر نسبه ، ثم أردف بأنه عاش في صدر الإسلام ، وأدرك العصر الأموي ، واشترك في الفتوح^(١٦) .

وربما كان سزكين - في رأينا - أدق استنتاجاً من بلاشير وهو ما سنوضحه عما قليل .

هذا كل ما وصل إلينا عن مليح في المصادر القديمة والحديثة سوى إشارة وردت في تاريخ الأدب العربي لبروكلمان عن ديوان منشور للمليح مع ترجمة بقلم بروي^(١٧) ، ولم يذكر أين نشر ، لذلك لم نتسكن من الاطلاع عليه وما نظنه إلا سابقاً لكتاب أشعار الهذليين للمسكري .

أما أن « مليحاً » شاعر إسلامي فهذا ما لا مشاحة فيه ، ففي شعره ذكر النبي^ﷺ ، في غير موضع نرى ذلك في قوله :

وَنَحْنُ ضَرَبْنَا يَوْمَ يَلْتَمَسُ الْهُدَى
بَأَسْيَافِنَا عِنْدَ النَّبِيِّ الْمَوْفِقِ^(١٨)

وفي قوله :

فَضَّلْنَا اللَّهَ بِأَمْرٍ رَائِقٍ
بِالْعَدْلِ فِينَا وَالنَّبِيِّ الصَّادِقِ^(١٩)

لكن السؤال يبقى : هل أدرك مليح عصر الرسول^ﷺ وحارب مع قومه ، أم أنه كان لما يزل صغيراً ؟ ونحن نرجح الأخير لسببين :

الأول : أن هذا الفخر بالنبي يأتي في ثنايا فخر عام بمآثر قومه في الجاهلية والإسلام ، وفيه يتحدث بضمير الجمع ، ولو كان له دور لذكره .

الثاني : أن مليحاً لو كان اشترك في غزوات الرسول^ﷺ لما أغفلته كتب الطبقات التي ما تركت أحداً ممن كان لهم فضل المشاركة والجهاد .

وفي أرجوزة « مليح » التي انتزعنا منها الشطرين الآتفين والذين يأتيان في معرض افتخاره بمضر ويخندف كلها يقول :

وَنَحْنُ أَهْلُ الدَّارِ وَالسُّرَادِقِ
وَالْبَابِ وَالْمَنْبَرِ وَالْبِرَازِقِ
وَالْمَسْجِدِ الْأَوْسَعِ وَالرُّسَاتِقِ
وَالْمَوْجِ وَالْمَلْجِ فِي الْقَوَاقِقِ
وَوَخَاتِمِ الْمُلُوكِ غَيْرِ الْعَالِقِ
وَنَحْنُ وَلِيِّنَا حُدُودَ الْفَاسِقِ^(٢٠)

ونقف عند قوله « أهل الدار » ونسأل أية دار تلك التي يتحدث عنها أهـي دار عثمان؟! ويقصد بذلك دفاعهم عن عثمان - رضي الله عنه - في يوم الدار؟! وعلى ذلك فهل يعني بخاتم الملوك « معاوية »؟! هذا احتمال لا نستطيع الجزم به ، لأن الشعراء خاطبوا الخلفاء بلفظة « ملك » فهذا الخطيئة يقول لعمر :

يَأْيُهَا الْمَلِكُ الَّذِي أُمْسَتْ لَهُ بُصْرِي وَغَزَّةٌ سَهْلُهَا وَالْأَجْرَعُ
أَوْ مُلْكُهَا وَقَسِيمُهَا عَنْ أَمْرِه يُعْطِي بِأَمْرِكَ مَا تَشَاءُ وَيَمْنَعُ^(٢١)

وهكذا نرى أننا مانزال من أمر مليح نحرك أقدامنا في مكانها لا نتقدم خطوة . على أن هناك شيئاً نستطيع الجزم به في حياة مليح هو أنه زار « مصر » وعاش فيها ، ربما في أثناء الفتح أو بعده بقليل ، ونستشف ذلك من قصيدته اللامية :

هَلْ أَنْتَ عَنِ الْحَيِّ الْيَمَانِيِّ سَائِلُ أَمْ أَنْتَ أَمْرُؤٌ قَدْ أَجْمَعَ الصُّرْمَ ذَاهِلُ^(٢٢)

وفيهما يتشوق من مصر لصاحبته « أم عابد » ولولدها عابد ، فيقول :

وَلَمْ يَتَنَوَّمْنَا لَهَا لَيْلَةَ اللَّوَى خَيَالُ يُوَاظِي الرُّكْبَ وَالرُّكْبُ نَازِلُ
وَدُونِي هَيَامُ الْمَعَاصِمِ فَاللَّوَى وَمِنْ دُونِ بَابِ الْيُونِ بَحْرٌ وَسَاحِلُ
وَدُونِي هَيَامُ الْمَعَاصِمِ فَاللَّوَى وَمِنْ دُونِ بَابِ الْيُونِ بَحْرٌ وَسَاحِلُ
وَدُونِي مِنْ هَضْبِ الْمُقْطَمِ مَنْكِبُ وَمِنْ عَابِدٍ جَلَسَ الْقَرَا مُتَطَاوِلُ

وذكر « باب اليون » في الأبيات يؤكد الزمن الذي حددناه لدخول مصر ، لأن « باب اليون » لم يعد لها ذكر بعد بناء « الفسطاط » إذ المعروف أن الفسطاط بنيت على موضعها^(٢٣) .

فهل دخل « مليح » مصر مع الجيش الفاتح ؟ هذا ما نرجحه ، ونرجح أنه كان فردا لم يصحب معه زوجه وولده بدليل ما تشي به هذه القصيدة اللامية التي يتشوق فيها إلى « أم عابد » التي ربما كانت زوجا له أو كان يطمح إلى الزواج منها .
على أي حال فقد دخل « مليح » مصر في سنة ٢٠ للهجرة أو بعدها بقليل ، فال معروف أن فتح مصر تم في هذه السنة^(٢٤) .

ومعنى ذلك أن مليحاً كان في هذا التاريخ شاعراً مكتمل الفن ، وكان أيضاً قد بلغ السن التي تمكنه من المشاركة في الجهاد أو على الأقل من النزوح إلى مصر .
وإذا قدرنا أن سن مليح إذ ذاك كانت في حدود العشرين عاماً تزيد أو تنقص كان لنا أن نقدر أنه ولد مع بدايات الهجرة ، ويكون قد شهد طفلاً جهاد قومه مع الرسول ﷺ في بعض المواقع بعد أن حسن إسلامهم ، وما نظن ذلك إلا بعد فتح مكة ، وظلت مشاهد هذه المواقع عالقة بذهن « مليح » ، حتى إذا جرى الشعر على لسانه تغنى بها في معرض الفخر بقومه :

وَنَحْنُ ضَرَيْنَا يَوْمَ يُلْتَمَسُ الْهُدَى بِأَسْيَافِنَا عِنْدَ النَّبِيِّ الْمَوْفُقِ
ضَرَيْنَا بِهِنَ الْهَامَ عَنْ كُلِّ جَائِرٍ عَنِ الدِّينِ أَوْ مِنْ تَائِهِ مُتَبَطِّقٍ^(٢٥)

وإذا كنا قد قدرنا مولد « مليح » فإننا لا نستطيع تقدير السنة التي توفي فيها ، ولا نعلم إلى أي مدى امتد به العمر ، كل ما نراه هو حديث عن الشيب في بعض شعره :
وَأَنْتَ ذُو شَيْبَةٍ ، هَيْهَاتَ مُطْلَبِي عَهْدَ الصَّبَابَةِ ذَاكَ الْجَهْلُ وَالْفَنَدُ^(٢٦)

غير أن مجرد الحديث عن الشيب لا يعطينا تحديدا للمدى الزمني الذي امتد فيه عمر « مليح » ، فقد يخطط الشيب رأس الرجل وهو لم يتعد بعد حد الشباب ، وقد يكون الشيب إحساساً نفسياً قبل أن يكون مظهراً جسدياً ، وقد يكون الحديث عن الشيب مجرد تقليد فني أسر يجري فيه مليح على سنن الشعراء الذين سبقوه في مواقف محددة . تستدعيه .

كذلك فنحن لا نعلم أيضاً كم لبث « مليح » في مصر ، وهل استقر فيها ، أو أنه عاد كرة أخرى إلى ديار هذيل ؟ ، وإذا كان قد عاد فهل استقر في ديار قومه في الحجاز أو نزح مثل غيره من النازحين إلى مكان آخر ؟!

(٢)

وشعر مليح الذي وصل إلينا يتوزع على موضوعين أساسين ، هما : المرأة والفخر ، وبين الموضوعين وشائج وصلات فكثيراً ما يأتي الفخر في معرض الحديث عن المرأة مسوغاً أن « مليحاً » أحق بالحب وأجدر به .

وتعددت أسماء النساء في شعر مليح من « ليلى » إلى « شماء » إلى « نائلة » إلى « أم عابد » ، بل كثيراً ما كان يبدأ باسم واحدة ، ثم لا يلبث بعد بيت أو بيتين أن يأتي باسم أخرى ، وهذا شيء جرى عليه الشعراء القدماء ، وهو - في ظننا - محاولة للتعمية على الاسم الحقيقي للمحبوبة على أننا نرى أن معاناة « مليح » واحدة ، وهذه الأسماء المتعددة - في نظرنا - لا تدل على تعدد محبوبات الشاعر ، وإنما هي محبوبة واحدة يحلو للشاعر أن يدعوها بأسماء عدة حباً لها ، وتعمية على حقيقتها .

والمحبوبة في شعر مليح مفارقة دائماً ، وتتعدد الفواصل والموانع التي تحول بينه وبينها ، فهناك الفاصل المكاني حيث تظعن المحبوبة إلى مكان تفصل الشاعر عنه ، فياف وجيل وأسفار ، ولا يملك الشاعر إلا أن يتعزى بالطيف حينما تلم به غفوة من النوم :

وَمَا ذَكَرُهُ لَيْلَى وَلَيْسَتْ بِخُلَّةٍ تُدَانِي وَلَا إِتْبَاعُهَا لَكَ يُعْرِفُ
وَلَا أَنْتَ تَلْقَاهَا ، وَلَا دَارُ أَهْلِهَا بِدَارِكَ إِلَّا لَمَّةُ النَّوْمِ تُسْعِفُ
بَعِيدَةُ أَشْطَانِ النَّوَى حِينَ تَنْبَرِي بِهَا لَا مِعَاتُ الْقَوَرِ أَوْ حِينَ تُخْرِفُ
لَهَا بَيْنَ أَعْيَارٍ إِلَى الْبَرَكِ مَرَبْعُ وَدَارُ وَمَنْهَا بِالْقَفَا مُتَصَيِّفُ^(٢٧)

وهناك فاصل آخر من العداوة فقوم « مليح » في حرب مع قومه :

فَقُلْتُ لَهَا يَا لَيْلَ كَيْفَ أَزُورُكُمْ وَقَدْ جَعَلْتَ فِي جَنْبِكَ الْحَرْبُ تُحَدِّبُ^(٢٨)

بل إن « مليحاً » يقص لنا قصة حرين كاد يهلك فيهما من أجل المحبوبة في يوم « فيض أراكة » وفي يوم « قرن » ولا نعرف شيئاً من أمر هذين اليومين ، سوى ما ورد في شعر « مليح » من الإشارة لهما وذلك إذ يقول :

فَمِنْ حُبِّ لَيْلَى يَوْمَ فَيْضِ أَرَكَةٍ وَيَوْمًا بَقَرْنِ كِدَتْ لِلْمَوْتِ تُشْرِفُ
غَدَاةً طَلَبْنَا الظَّاعِنِينَ وَدُونَهُمْ رَجَالُ الْعِدَى مَا عَنْهُمْ لَكَ مَصْرَفٌ^(٣٩)

ويحدثنا الشاعر في أبيات أخرى عن رجال من قوم المحبوبة ، تشتعل أنفسهم حقداً له وكراهية ، وإذا ذكر اسمه لهم ظل لأضلعهم زفير من شدة الحنق :

إِذَا مَا حَالَ دُونَ كَلَامِ سَعْدَى تَتَنَائِي الدَّارِ وَالْحَنَقُ الْغَيُورُ
يَظَلُّ إِذَا ذُكِرْتُ لَهُ بِأَرْضٍ بِهَا سَعْدَى لِأَضْلَعِهِ زَفِيرٌ^(٤٠)

ونرى الشاعر يحاول - ما استطاع - مداراة هؤلاء الأعداء رعاية لمحبوبته وإكراماً لنفسه ، وهذا ما تشي به أبياته :

مِنْ دُونَ لَيْلَى رَجَالٌ مُبْغِضُونَ لَنَا أُرْعَيْتُ فِيهِمْ وَمَا أُرْعَوْا وَلَا قَصَدُوا
وَمَا عَجَلْتُ وَمَا رَدُّوا بِحَاجَتِهِمْ عِنْدِي ، وَمَا بَلَّغُوا جَهْدِي وَقَدْ جَهَدُوا
يُكَلِّمُونَكَ تَخْلِيفاً وَأَنْفُسَهُمْ تُطَوِّى عَلَى حَقِّ مَوْتٍ وَتَنْعَقِدُ
إِنِّي لَا كَرِمٌ نَفْسِي أَنْ أَوَاحِنَهُمْ فِي الْأَمْرِ حِينَ بَدَأَ فِي تَرْكِهِ رَشْدٌ^(٤١)

ويظل شعر « مليح » يفيض بالشكوى لصاحبته من هذه العداوة التي تمنع لقاءهما ، وهي أيضاً تشكو إليه الشكوى ذاتها ، يقول :

شَكَوْتُ الْعِدَى مِنْ دُونَ لَيْلَى وَأَنَّهُ يَزِيدُ هَوَاهَا النَّأْيُ عِنْدِي فَيُضْعَفُ
وَحَبْرَتُهَا أَشْيَاءَ تَعْلَمُ أَنَّهَا كَذَلِكَ ، فَقَالَتْ : كُلُّ مَا قَالَ نَعْرِفُ
وَالطَّفْتُ مِنْ شَكْوَى الْمَحَبِّ مَقَالَةً لِلَيْلَى وَمَا قَالَتْ لَنَا بَعْدُ الطَّفُّ
فَقَالَتْ لَهُ : لَوْ كَانَ لِلْحَبِّ مُنْتَهَى وَلِلْهَجْرِ أَوْ لَوْ كَانَ ذُو الصُّغْنِ يَنْصِفُ
بَلَّغْتُ عَلَى رَغْمِ الْأُتُوفِ كَرَامَةً إِلَيْكَ ، وَلَوْ مَاتَ الْغَيُورُ الْمَكْلَفُ
وَلَكِنْ عَدَانِي اللَّوْمُ مِنْ ذِي قَرَابَتِي وَلَغَبُ الْعِدَى يَمِّنُ يَجُورُ وَيَجْنَفُ^(٤٢)

و « مليح » في هذا الجانب من شعره يعيد علينا موقفاً شبيهاً بموقف « عنترة » من محبوبته ، فهو أيضاً كانت تفصله عنها عداوات وإحن بين قوميها :

شطت مزارَ العاشقين فأصبحت عسراً عليّ طلابك ابنة مخرم
علقتها عرساً وأقتل قومها زعماً ورب البيت ليس بعزم^(٣٣)

على أننا لا ندري شيئاً عن هذه العداوة التي فصلت بين مليح وقوم محبوبته ، أكانت عداوة قبلية ؟ أم كانت شيئاً مما تفرضه التقاليد العربية ، غيرة على الأعراض والحرم ؟!

غير أن هناك خطأ يمكن أن يوصلنا إلى تفسير لهذه العداوة ، يتمثل في أن المحبوبة كانت ذات ولد ، ومعنى ذلك أنها في عصمة رجل غيره ، وطبيعي - والأمر كذلك - أن تقوم من جراء هذا الحب عداوات ، بل ثارات ، وقد ذكر مليح في شعره أنه أحب محبوبته وولدها لما يزل يسعى في قمامه :

بتلك علقت الشوق أيام بكرها قصير الخطى في قدعة متعطف
عليه مع الحلي التميم مظاهراً على النحر منه والسحاب المسوف
شبيهة بأطلاء المها غير أنه يصل بعطفه جمان ورفرف^(٣٤)

وكلمة « بكر » توحى بأن المحبوبة كان لها أولاد آخر وإلا لما ذكر « مليح » هذه الكلمة تمييزاً لهذا الولد .

ومهما كان من أمر فاسم هذا الولد البكر كان « عابد » ، وقد كنى به المحبوبة في قصيدته اللامية التي نظمها متشوقاً إليها وهو بمصر :

كانك لم يعلقك من أم عابد ذمام ، ولم تضرب عليك الحبال
ولم يجرفي الأخبار بيني وبينها أمين لنا تلقى إليه الرسائل
ولم ترج في الود المكنم بيتنا أكثر فيه الناس أم قال قائل^(٣٥)

وثمة فاصل ثالث يحول بين « مليح » وبين محبوبته ذلك هو تمنعها وصدودها ، وهوفي شعره يشير دائماً إلى تأبئها ، وخلا بها ، وخداها :

تُخَالِفُنَا وَتَلْبَسُ كُلَّ لَوْنٍ لَنَا شَكْلَاءُ خَالِبَةٌ خَتُورُ
وَتُدْهِنُ لِلصَّرِيمةِ وَهِيَ تُبْذِي لَنَا وَصْلاً ، وَتَعْلَمُ مَا تُدِيرُ^(٣٦)
ويعجب من نفسه في قصيدة أخرى ، لحبه لها رغم ما يعرف من باطل هذا الحب
وغيه، وتغريه به ، ورجوعه منه بغير طائل :

وَلَمْ أَرْ مِثْلِي يُسْتَحَنُّ صَبَابَةً مِنْ الْبَيْنِ أَوْ يَبْكِي إِلَى غَيْرِ وَأَصِلِ
وَلَا مِثْلَ مَا أَلْقَى بِلَيْلِي وَجِبِّهَا أَلَا حُبُّ لَيْلَى حُبٌّ غَيٌّ وَبَاطِلِ
وَلَا مِثْلَ مَا أُعْطِيتُ مِنْهَا وَمَا بَدَا لَنَا مِنْكَ إِعْرَاضُ وَقِلَّةُ نَائِلِ
فَمَهْمَا يَكُنْ مِنْ حُبِّ لَيْلَى فَإِنَّهَا عَلَى ذَاكَ مُسْقَاةٌ دَمَاءُ الْمُقَاتِلِ
مُوكَلَّةٌ بِالشُّكِّ قَادِرَةٌ لَنَا عَلَى الْقَتْلِ أَوْ طَوْلِ السَّقَامِ الْمَاطِلِ
نَعِيشُ بَوَعْدٍ مِنْكَ لَا تُنْجِزِينَهُ وَتَأْمُلُ ذَاكَ الْوَعْدَ مِنْ غَيْرِ بِأَذَلِ
فَلَمْ تَنْظُرِي دِينًا وَلَيْتَ اقْتِضَاءُ وَلَمْ يَنْقَلِبْ مِنْكُمْ طَلِيبُ بَطَائِلِ^(٣٧)
ومرة ثالثة نراه يشير إلى مظلها الذي أهلكه :

وَلَوْ أَنَّ لَيْلَى حِينَ تَذْثُوبَهَا النُّوَى تُعَدُّ لِأُخْرَى غَرِيبَةٍ حِينَ تَجْمَعُ
وَلَكِنْ لَيْلَى أَهْلَكْتَنِي بِقَوْلِهَا نَعَمْ ثُمَّ لَيْلَى الْمَاطِلُ الْمَتَّبِعُ^(٣٨)

على أن هذه الفواصل والموانع ما كانت تزيد حب مليح إلا تأججا وتسعراً ، فنراه
مشدوداً إلى صاحبتة ، أسير ذكراها كثير الحنين إليها ، منهل الدمع ، وليس أدل على
ذلك من قوله :

لَعَمْرِي لئن أَبْكَيْتُكَ كُلَّ مَحَلَّةٍ لَشَمَاءَ ، أَوْ طَيْفُ مَتَى تُقْسِرُ يَطْرُقِ
لَتَلْتَمِسَنَّ عَيْنًا سِوَى عَيْنِكَ الَّتِي رَهَنْتَ بِجَارِي دَمْعِهَا الْمَتَدَفِّقِ
تُرَاوِحُهَا بَعْضَ الْبِكَارِ وَتُعِينُهَا عَلَى الْغَيِّ مِنْ وَجْدٍ بِشَمَاءَ مُلْحَقِ
وَمَنْ يَتَعَلَّقُ حُبُّ شَمَاءَ أَوْ تَكُنْ لَهُ شَجْنًا يَكْثُرُ حَنِينًا وَيَشْتَقِ
وَيَهْتَجُ لِذِكْرِهَا إِذَا خَطَرَتْ لَهُ وَلِلْبَيْنِ مِنْهَا وَالْخَيَالِ الْمَوْزُقِ
حَتَّى الْيَمَانِيِّ هَاجَهُ بَعْدَ سَلْوَةٍ وَمِضْرُ رَمِيٍّ آخِرِ اللَّيْلِ مُعْرِقِ
فَحَنٌّ وَلَمْ يَمْلِكْ حَنِينًا وَهَاجَهُ لِأَوْطَانِهِ صَوْبُ السَّنَا الْمُتَالِقِ^(٣٩)

وفي أبيات أخرى يصور وجده الذي كاد يذهب بنفسه ، وحسرتة التي يجنيها من وقوفه على مكان كانت تحمل به :

قَلَمَ أَنْصَرَفَ مِنْ دَاكِرِ سَعْدَى وَلَمْ أُفِقْ مِنْ الْوَجْدِ حَتَّى كَادَتْ النَّفْسُ تَخْرُجُ
فَفِي كُلِّ دَاكِرٍ فَيْكٍ لِلْقَلْبِ حَسْرَةٌ يَكُونُ لَهَا نَوْءٌ مِنَ الْعَيْنِ مُرْهِجٌ^(٤٠)

وعلى أية حال فموقف مليح من صاحبتة تغلب عليه روح الشعراء العذريين فيما نجمده في شعره من إحساس بالحُرمان ومن شكوى الهجر والفراق ومن حزن يطبعه بطابع مميز .

على أن ذلك لا يمنع أن تقع في شعر مليح على ما نعهده - إن صح تقديرنا لمولده - إرهاسا ببعض سمات عمر بن أبي ربيعة من إنطاقة للمرأة ، ومن إفساح المجال لها لتعبر عن مواجدها ومشاعرها فنجد في قصيدته الفائية (تَذَكَّرْتُ لَيْلَى يَوْمَ أَصْبَحْتُ قَافِلًا)^(٤١) يفسح المجال لصاحبتة حين نراها تقول له :

فَقَالَتْ لَهُ لَوْ كَانَ لِلْحُبِّ مُنْتَهَى وَلِلْهَجْرِ أَوْ لَوْ كَانَ ذُو الضَّغْنِ يُنْصَفُ
بَلَّغْتُ عَلَى رَغَمِ الْأَثُوفِ كِرَامَةً إِلَيْكَ وَلَوْ مَاتَ الْغَيُورُ الْمَكْلُفُ
وَلَكِنْ عَدَاكُنِي اللَّؤْمُ مِنْ ذِي قِرَابَتِي وَلَغَبُ الْعِدَى مِمَّنْ يَجُورُ وَيَجْتَفُ

وفي قصيدة أخرى نراه يبرز صاحبتة في صورة قريبة الشبه بما سنراه من صاحبات عمر ، وهن يتهمنه بالمخادعة والخلاب وذلك إذ يقول :

وَقَالَتْ : أَلَا قَدْ طَالَ مَا قَدْ غَرَّرْتَنَا بِخَدَعٍ ، وَهَذَا مِنْكَ حُبٌّ مُزَلِّجُ
فَجِئْنَا بِقَوْلٍ لَيْسَ فِيهِ خِلَابَةٌ وَالْأَفْتَكْلِيمِي عَلَيْكَ مُحَرَّجُ
إِذَا شِئْتَ فَاصْدُقْنِي الْحَدِيثَ فَإِنَّمَا صَفِيي مِنَ النَّاسِ الَّذِي لَا يُمَزَّجُ
وَأَوْثِقْ لَنَا عَهْدًا نَدْمُ لَكَ مَا جَرَى عَلَى ثِيَجِ الْبَحْرِ السُّفِينُ الْمَلْجُجُ
وَالَا فَادِنًا بِصُرْمٍ نُمِتَ بِهِ أَقَاوِيلَ تُقْرَأُ كُلُّ يَوْمٍ وَتُرْزَعُ^(٤٢)

فهل نستطيع أن نقول : إن عمر قد أخذ ما وجده من هذه الخيوط في شعر مليح ونماها؟! ربما .

(٣)

وربما يمت بسبب إلى المحبوبة ، وموقفها من مليح ، وموقف مليح منها ، وهذا الفراق الضارب بجرانه بينهما مانراه في شعر مليح من سمة مميزة تتمثل في وصف الطعائن .

وإذا قارنا شعر مليح بشعر السابقين عليه أو المعاصرين له في هذه الناحية ، وجدنا وصف الطعائن عند مليح يتميز بلامح فارقة ، فرحلة الطعائن عنده ليست كما هي عند غيره من الشعراء تقليداً فطياً متبعاً يمهّد لغيره من الموضوعات ، بل هي في عديد من القصائد تكاد تكون الموضوع الرئيسي ، وهذا ربما بدا عجبياً في شعر مليح ، الأمر الذي يجعلنا نزعّم أن «مليحاً» يجسد لنا من خلال عنايته بوصف الطعائن كل إحساسه بالغيرة والحرمان .

ولا ننكر أن «مليحاً» تأثر بسابقيه في عديد من خطوط هذا الجانب ، ولكن تبقى له خصوصيته المتفردة في كثير من الجزئيات ، وفي وصفه المتأني لحركة الطعائن ، وفي صوره المشحونة بالحركة والانفعال .

وقد ألفنا في وصف الشعراء لمشهد الطعائن أن يبدأوا الوصف من حيث بداية الرحلة في التحرك ، فيصفون الهوادج وما عليها من كساء ملون ، وربما وصفوا حزن المحبوبة للفراق ، ودموعها ، وإشارتها بالبنان ، ثم يتابعون الرحلة حتى تغيب عن الأعين ، وربما استمر بعضهم متخيلاً الأماكن التي ستحل بها الطعائن إلى غير ذلك ، أما مليح فإنه يكاد ينفرد بخط فارق بين الشعراء يتمثل في وصف إعداد الرحلة ، بداية من زم الجمال ، ثم وضع الأحمال عليها ، ثم خروج صاحبه بين أترابها من الغيد ، ثم استوائها على الجمل المعد لها ، ثم تحرك الرحلة ، وهو في أثناء ذلك يتوقف وقفات فنية ليصف لنا إبل الرحلة، أو الغيد اللاتي يطفن بأحمال الجمال ، أو معاناة الجمل الذي استوت عليه المحبوبة في نهوضه إلى غير ذلك . ففي قصيدته القافية (تشوّقُ إثرَ الظاعنِ المتفرّق)^(٢٣) يصور لنا الإعداد للرحلة في هدأة من الليل ، ويصف ألوان الإبل المعدة ، وقوتها ونشاطها ، فأنياها كشبا الحراب تصدع اللغام الخارج من أفواهها وتخرقه كل مخرق :

غَدَوْا بَعْدَمَا هُمَا بِأَنْ يَتَهَجَّدَا	بَلِيلٌ وَزَمُوا كُلُّ أَعْيَسَ مُحْنَقٍ
سَدِيسٌ وَعَامِي الْبُزُولُ لَنَا بِهِ	شَبَاءٌ كَزَجِّ الْحَرِيسَةِ الْمُتَذَكِّقِ
إِذَا هُنَّ ظَاهِرْنَ اللَّجَيْنِ صَدَعَتْهُ	بِسْمَرِ الشَّبَا يَخْرِقُهُ كُلُّ مَخْرَقِ

ويتابع مليح مشهد الإعداد للرحلة ، فمع رحيل الليل ويزوغ أول ضوء للصباح الذي يشبه نسج الحائك المتفتق تخرج الغيد يعالين الإبل بالميس ، ويضعن الطنافس والوسائد :

غَدَوْنَ وَأَعْقَابُ الظَّلَامِ يَشْلُهُ صَبَاحُ كَنْسَجِ الحَائِكِ المتَفَتِّقِ
فَأَصْبَحْنَ قَدَّ عَالَيْنَ بالميس فوقها وَكِسْوَتُهُ مِنْ كُلِّ قِطْعٍ وَنُزْمُوقِ^(١)

ويتوقف « مليح » عند هؤلاء الغيد فيصف خطوهن الذي يشبه درج القطا ، وأقدامهن وهي تصانع الخطو في نعالها مصانعة الأطفال الذين لم يدرىوا بعد على المشي ، ويصف كعوبهن اللطاف الدم وسيقانهن الممتلئة :

يُطْفَنُ بِأَحْمَالِ الجَمَالِ غُدِيَّةُ دَرِجِ القَطَا فِي القَرْغِ غَيْرِ المَشْقُوقِ
نَعَالاً لَأَقْدَامَ يُصَانَعْنَ خَطُوهَا مُصَانَعَةُ الأَطْفَالِ لَمَّا يُطْلَقِ
بِكُلِّ حَظِيظِ الكَعْبِ دُرْمُ حُجُومِهِ تَرَى الحَجَلَ فِيهِ غَامِضاً غَيْرَ مُقْلَقِ^(٢)

وتركيز « مليح » على الأقدام وحركتها إنما هو محاولة منه لاعتصار الزمن ، فهو لا يريد أن تفلت منه حركة من مشهد الرحيل حتى ولو كانت هذه الحركة حركة قدم تصانع خطوها ، أو حركة حجل غامض غير مقلق ، إنه مشهد يريد أن يستوعبه « مليح » بكل تفصيلاته ، فمن يدرى لعله يكون آخر لقاء بالمحبوبة .

ويستمر « مليح » في وصف هؤلاء الغيد مصعداً من أقدامهن إلى أجسادهن إلى أن يتحرك الركب متجهاً وجهته :

يُجَلِّلُهَا الأَحْمَالُ غِيدَ كَأَنَّمَا جُلَيْنَ بِمَاءِ المَذْهَبِ المَتَرَفِقِ
خَذَالُ الشَّوَى ، قَبُ البُطُونِ كَأَنَّمَا تَقَسَّمْنَ رِيّاً البَابِلِيِّ المَعْتَقِ^(٣)
كَمَا اهْتَزَّ أَثْلٌ تَحْتَ رِيحِ ثَمْدِهِ أَنَابِيبُ جَوْفٍ بَيْنَ نَخْلٍ وَخَنْدَقِ
تَصْبَحْنَ مِنْ بَرْدِ الغَدَاةِ كَمَا احْتَنَتْ لِأَطْفَالِهَا أَدُمَ المَهَا التَّعَنَّقِ
أَصُولُ الغَضَا لَمْ تُضَعْ حَتَّى تَعُودَتْ بِهِ مِنْ أَجِيجِ الوَاهِجِ المُتَوَدِّقِ

ويبرز مليح محبوبته « شماء » في نهاية الصورة وقد استوت على بعير ناعجي ضخم كأنه جانب من جبل « خلاقة » تحاول أن تحكمه بالزمام وهو يستجيب تارة لها ، ويستعصي أخرى ، ومن خلال حركة جذب الزمام تبرز أنامل شماء من رداثها الرقيق النسج :

فَلَمَّا تَرَكْنَ الدَّارَ وَحِشًا وَوَجَّهَتْ
مُنِيرَ تَجْوَزُ العَيْسُ مِنْ بَطْنَاتِهِ
تَزَوَّدَتْ مِنْ شَمَاءٍ نَظْرَةً عَاشِقٍ
غَدَاةً ثَنَتْ مِنْ نَاعِجِيٍّ كَأَنَّهُ
إِذَا قَدَعَتْهُ بِالزَّمَامِ وَأَبْرَزَتْ
تَوَقَّى بِعَظْفِيرِ الزَّمَامِ وَتَارَةً
عَنَّا جِيعُ تَغَشَّى ذَا حَرِيبٍ مُسَوِّقٍ
حَصَى مِثْلَ أَنْوَاءِ الرُّضِيحِ الْمَفْلُقِ
بِهَاهَاتِهِمْ مِنْ يُخْطِرُ الْقَلْبَ يَغْلِقِ
سَمَاوَةً حَيْدٍ مِنْ خُلَاقَةِ مُشْرِقٍ
أَنَامِلَ فُتُخًا مِنْ رَدَاءٍ مُحَقِّقٍ
يُصَمِّمُ فِي مِثْنَاتِهِ غَيْرَ مُتَّقِيٍّ

وإذا كنا لم نر صاحبة مليح هنا إلا في نهاية الصورة ، وقد استوت على بعيرها ،
وإذا كنا لم نر منها إلا أناملها الفتخ ، فإننا نقع في قصيدته الرائية (جزعتُ غداةً نُشِصَتْ
الخدورُ) ^(٧٧) على صورة واسعة لها وقد أحاط بها فتيات القبيلة يصحبنها إلى بعيرها الذي
أعدده لها ، ونرى من أوصاف هذه المحبوبة الطاعنة أنها طويلة العنق ، ثقال ، حوراء ،
عذبة الفم ، ممتلئة السيقان مستويتها تدافع لثقل خطوها طرة الخلخال فيطير فضاضه :

وَقَامَ خَرَاغِبُ كَالْمَوَزِ هَزَّتْ
لَهْنُ خُدُودُ جَنَّةِ بَطْنِ حَوْمِي
يُطْفَنُ بِعَوْجِ غِيدَاءٍ مِثْلَ الـ
تَقُومُ فَتَنْشَنِي وَيَمْرُ هَوْنًا
كَمَا تَمَشِي التَّرْبَعَةُ زَيْتَتَهَا
يَزِينُ مَوَافِقَ الْعَبْرَاتِ مِنْهَا
وَمِثْلُوجِ الْغُرُوبِ يَمُجُّ رِيًّا
تُنِيفُ بِوَاضِحِ اللَّيْتِينَ تَكْسُو
ثَقِيلَةً مَوْضِعَ الْأَرْدَافِ تَخْطُو
تُدَافِعُ طَرَةً الْخُلْخَالَ حَتَّى
ذَوَائِبُهُ يَمَانِيَّةُ زُخُورُ
وَلِلرُّمْلِ الرُّوَادِفِ وَالْخُصُورُ
غَمَامَةٌ بَرَقَتْهَا عَمَلُ مُنِيرِ
كَمَا تَبَعَ الرِّيَّاحُ نَقَا يَمُورُ
مَعَ الْحُسْنِ الْأَجَلَّةِ وَالضُّمُورُ
مَدَامِعُ سَاكِنَاتِ الطَّرَفِ حُورُ
شُنَانُ الْمَسْكِ خَالِطُهُ الْعَصِيرُ
تَلَاعَتُهُ الزَّرْبَجَدُ وَالشُّدُورُ
عَلَى بَيْضَاءٍ لَيْسَ بِهَا وَقُورُ
يَظَلُّ فِضَاضُهُ عَنْهَا يَطِيرُ ^(٨٨)

ونقع في قصيدته اللامية (أَجْدُ الْخَلِيطُ الْيَوْمَ أَشْكَ التَّزَايِلِ) ^(٨٩) على صورة طريفة
لصاحبة « مليح » وهي تحاول ركوب البعير وتحاول أن تستمسك بالأنامل ، غير أن الحركة
تجهد لها ، فيجري عرقها على الجيد والأعطاف ، ويحاول البعير النهوض فيبني صدره
بيديه ، ولا يكاد يقوم بها لولا شدته .

وفي أثناء ذلك يتوقف مليح عدة وقفات ليرز لنا مواطن الجمال والزينة في صاحبه:

وَمَلَنَ بَلِيلِي نَحْوَ جَلْسٍ كَأَنَّمَا	تَحَدَّرُ ذَفْرَاهُ ثِقَاعَةً نَاطِلِ
فَلَمَّا دَنَتْ مِنْ حِمْلِهِ وَهُوَ هَاجِدٌ	لَهَا عَارِفٌ لِلْحَبْسِ مُرْخِي الْخِصَائِلِ
سَمَتْ فَوْقَهُ لِلظِّلِّ وَهِيَ مَكْبِشَةٌ	بَهِيرُ الْحَشَا وَاسْتَمْسَكَتْ بِالْأَتَامِلِ
تَرَى بُرْحَاءَ الرَّبْوِ يَجْرِي حَبَابُهُ	عَلَى الْجَبِيدِ وَالْأَعْطَافِ غَيْرِ الْعَوَاطِلِ
إِلَى سَلْبٍ يَرْتَجُ ثُمَّ تَزُودُهُ	بَارْدَافٍ بُوَصٍ مِثْلَ دَعَصِ الْخَمَائِلِ
مُهْضَمَةٌ الْأَحْشَاءِ مَمْكُورَةُ الشَّوَى	قُطُوفُ الْخُطَا خَلْخَالُهَا غَيْرُ جَائِلِ
نَقِيَّةٌ بَيْنَ الْمَحْجَرَيْنِ كَأَنَّمَا	كَسَتْ مَذْهَبًا مُجَرَّى الدُّمُوعِ الْهَوَامِلِ
إِذَا اطْرَدَتْ بَيْنَ الْوِشَاحِينَ حُرُكَتْ	أَرَاخِيَّ مُصْطَبِكٍ مِنَ الْحَلِيِّ حَافِلِ
إِذَا هِيَ نَاءَتْ لِلْقِيَامِ تَخَضَّدَتْ	تَخَضَّدَ مَتْنِي شَارِبِ الرَّاحِ مَائِلِ
فَلَمَّا اسْتَقَرَّتْ فَوْقَهُ وَهُوَ مُسْتَوٍ	بِمُخْتَلَفِ الْأَلْوَانِ دَانِي السَّدَائِلِ
بَنَى بِيَدَيْهِ صَدْرَهُ ثُمَّ لَمْ يَكْذُ	يَقُومُ بِهَا لَوْلَا اشْتِدَادُ الْمَفَاصِلِ ^(٥٠)

وقد احتل وصف إبل الظعن حيزاً واسعاً من مشهد الرحيل في شعر مليح على خلاف من سبقوه في هذا المجال ، فبشر بن أبي خازم - على الرغم من تعدد مشاهد الرحيل في مقدمات قصائده - لا يذكر الإبل إلا في بيت واحد^(٥١) ، ومثله عنتره^(٥٢) ، ويخصها زهير ابن أبي سلمى بأربعة أبيات^(٥٣) في إحدى مقدماته ، أما عمرو بن قميئة فجملته ما وصفها به خمسة أبيات^(٥٤) موزعة على مقدمتين ، وأغفل ذكرها امرؤ القيس ، وعبيد بن الأبرص ، والأعشى ، وليبيد والمثقب العبدى .

ولا يعني كلامنا أن هؤلاء الشعراء لم يصفوا الناقة في شعرهم ، بلى ؛ قد وصفوها ، ولكن وصفهم لها يأتي في إطاره التقليدي من وصف الرحلة ، ولكنهم لم يقفوا عند هذه الإبل المعدة للظعان ، ولم يصفوها في إطار هذا المشهد كما نرى عند مليح .

ومليح في وصفه لهذه الإبل يركز على مجموعة من الصفات فهي عنده إبل مسنة ، مغتلمة ، ضخمة الجسم ، شحمها متراكم ، وأسنانها حادة ، نراها - كما مر بنا من وصفه - تجاوزت السنة الثامنة والتاسعة فبزلت أنيابها ، وأصبحت كزج الحربة :

سَدِيسٍ وَعَامِيٍّ الْبُزُولُ لِنَابِهِ شَبَابَةٌ كَزَجِّ الْحَرْبَةِ الْمُتَذَكِّرِ^(٥٦)
وهي إبل قد رعت حتى تراكم شحمها ، وامحى من جنباتها أثر الولايا والدبر :
أَكْلَنَ الْحِمِيَّ حَتَّى تَصْعَدَ قَوْقَهَا نَضِيدُ إِلَيْهِ مُنْتَهَى النَّيِّ مُدْمَجٌ
وَحَتَّى امْتَحَى مِنْ مُسْتَوَى صَفَحَاتِهَا مَحْصُ الْوَلَايَا وَالْوَقِيعُ الْمَسْجَجُ
عَوَارِضُ مِنْ نَوَى السَّمَائِينَ مُزْتَهُ يُنَحَرُّ فِي الْبَيْضِ الذَّمَائَاتِ وَيُنْتِجُ
هَمَلَنَ بِهِ حَتَّى دَنَا الصَّيْفُ وَانْقَضَى رَبِيعٌ ، وَحَتَّى هَانَجُ الْبَقْلِ أَمْلَجُ^(٥٧)
وتأخذ صورة الإبل بعداً آخر من القوة حين يضيف مليح إليها صفة الاغترام :
تَنَادَرَا بِالرَّحِيلِ فَأَمَكَّنْتُهُمْ فُحُولُ الشُّوْلِ وَالْقَطِمْ الْهَجِيرُ^(٥٨)

ويركز مليح بصفة خاصة على رؤوس هذه الإبل ، وعلى مشافرها وما تقذف به من لغام ، وعلى صريف أسنانها وما يحدثه من صوت مرعد ، وقد مر بنا شيء من صفة لغام هذه الإبل الذي تقذفه أجوافها ، أما صريف أنيابها فنراه يشبه بهزيم الرعد في قوله :

كَأَنَّ صَرِيْفَهُنَّ إِذَا تَسَامَتَ مَذَاكِيهَا وَلَجَّ بِهَا الْهَدِيرُ
رَجِيفُ الْمَزْنِ بَيْنَ مُسَدَّمَاتٍ يَشُبُّ صَرِيْفَهُنَّ شَبَابُ ذُكُورٍ^(٥٩)
ومرة أخرى نراه يشبهه بصوت الصقور :

مُحْمَلِكَةُ الْأَثْبَاجِ دُفِقَ كَأَنَّمَا تَفَرَّدُ أَلْحِيهَا اصْطِرَارُ الْأَجَادِلِ^(٦٠)
وصحيح أن كل هذه الصفات تعكس مرح إبل الطعائن ونشاطها وقوتها في بدء الرحلة ، ولكن نحس أن جملة هذه الأوصاف من الضخامة ، وحدة الأنياب ، وصوت الصريف المفزع تشي بإحساس من الفزع ، فهل كان مليح يسقط إحساسه بالفراق على مشاهد هذه الإبل التي تبدو لنا وكأنما إبل أسطورية؟! ربما ..

ووقف مليح عند منظر الهوادج وما عليها من ستور ، وما بداخلها من طنافس ووسائد ، كما وقف غيره من الشعراء ، فعرض لنا صوراً متنوعة تدل على ثراء صاحبه وغناها ، فنراه يشير في إحدى قصائده إلى القز المغطى بالديباج :

وَلَا حَمْلَ إِلَّا الْمَيْسُ أَوْ ذُو غَفَارَةٍ مِنْ الْقَزِّ مَنقُوشُ الْعِصِيِّ الذَّوَابِلِ
مُغَطًى بِدِيْبَاجٍ يُقَارِنُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عِتَاقِ الرِّقْمِ غَيْرِ الْمَشَاكِلِ^(٦١)

وفي أخرى نراه يشير إلى رقمها الحبير :

قَلَمًا أَنْ أُنْخَنَ وَبَاشَرَتَهَا هَوَاجُ فَوْقَهَا رَقْمٌ حَبِيرٌ^(١١١)

وفي ثالثة يشير إلى طرائق من أعلى ما يعرض التجار :

وَحَتَّى رَأَيْتُ الْعَيْسَ تُكْسَى مُتُونَهَا طَرَائِفَ مَا تُغْلِي التَّجَارُ وَتُرْبِحُ^(١١٢)

وفي رابعة يشير إلى الطنافس والوسائد :

فَأَصْبَحَنَ قَدْ عَالَيْنَ بِالْمَيْسِ فَوْقَهَا وَكِسْوَتُهُ مِنْ كُلِّ قِطْعٍ وَنُزْقٍ^(١١٣)

وفي خامسة يشير إلى لون الستور الأحمر الذي يشبه دماء أجواف البدن :

كَأَنَّ مَا فَوْقَهَا مِمَّا عَلَيْنَ بِهِ دِمَاءُ أَجَوَافٍ بُدْنٍ لَوْنُهَا جَسِدٌ^(١١٤)

ومليح في كل ذلك لم يخرج على سنن الشعراء ، لكنه تميز منهم بأن وصفه للهوداج جاء في مشاهد حية متحركة إذ هو يتطرق إلى ذلك من خلال وصفه عملية الإعداد .

والحقيقة أن الحركة عنصر مميز في شعر مليح الذي تناول فيه وصف الطعائن ، وهي سمة ترجع بميزاته في هذا الجانب .

(٤)

ويرتبط حديث الفخر عند مليح ارتباطاً وثيقاً بحديث المرأة فهو ردة فعل لتجربته معها ، واستعلاء على الألم الذي يسببه تمنعها وصدودها .

ونرى حديث الفخر عند مليح موزعاً على محورين نستطيع أن نسمي أولها المحور الذاتي ، وفيه يفخر مليح بفتوته ورجولته وجلده ، ونستطيع أن نسمي ثانيهما المحور القبلي إذ نراه فيه يفخر بقبيلته وأيامها ، على عادة الشعراء .

وفي فخر مليح الذاتي نراه يعرض نفسه من خلال قدرته على اجتياز الفلوات ، وخوض أهوالها ، وتحمل مخاطرها في قصيدته القافية (تشوَّقت إثر الظاعن المتفرق)^(١١٥) يعرض لنا صورة هذه الصحراء الموحشة التي تتعاضى سباعها جوعاً ، وكيف اجتازها بناقته المدعان القوية ، وكأنه يشير بهذه التجربة الحسية إلى تجربته النفسية ، أو يجسد فيها

تجربته النفسية ، فكما أنه استطاع تجاوز هذه الصحراء المخوفة ، فهو قادر أيضاً على تجاوز آلامه المبرحة ، وعلى ترك أحبته ، ومعاشرة غيرهم وعلى الخروج من همه الذي ينشب كلاله بين الحشا والمخنق :

وَدَاوِيَّةٌ مَلَسَاءُ يُمْسِي سِبَاعُهَا	بِهَا مِثْلَ عُرَادِ السَّقِيمِ الْمَغْفِقِ
تَعَاوَى بِهَا لَيْلًا وَيَضِيحُ بَعْضُهَا	لِبَعْضٍ عَلَى الْحَسْرِى بِيَدَاءِ سَمَلِقِ
أَجَزْتُ بِمَذْعَانِ الْعَنِيْقِ تَرَبَّعْتُ	مَعَ الشَّوْلِ صَوْبَ الْعَارِضِ الْمُتَبَقِّ
فَأَوْتَجَتِ النَّتَى الْوُثِيْقَ وَأَظْهَرْتُ	جِرَاحَ الْوَلَايَا فَوْقَ دَفٍّ مُيْلَقِ
وَإِنِّي لِأُمْسِي نَائِيًا مِنْ أَحْبَّتِي	لَدَى غَيْرِ ذِي قُرْنَى وَلَا مِتْخَلِقِ
وَإِنِّي لَخَرَّاجٌ مِنَ الْهَمِّ مُنْشِبًا	كَلَالِيَهَ بَيْنَ الْحَشَا وَالْمَخْنَقِ (١٧)

وفي قصيدته الجيمية (أفى أربع للرَّيحِ فيهن مَدْرَجٌ)^(١٨) يجيب على تمنع صاحبه بقوله:

فَقُلْتُ لَهَا هَلْ حُبُّكَ الْيَوْمَ زَائِدٌ عَلَى كُرْبَةٍ لَا بُدَّ أَنْ سَتَفْرَجُ
ثم يعقب ذلك مباشرة بحديثه عن اجتياز الصحراوات المخوفة ، وكأنه يجسد قدرته في الخروج من مأزق الحب في قدرته على الخروج من أخطار الصحراء ، وذلك إذ يقول :

فَإِنَّكَ لَا تَدْرِينَ أَنْ رَبُّ مَهْمِهِ	بِهِ الْحَقْبُ كَوْرًا وَالنَّعَامُ الْمُخْرَجُ
نَصَبْتُ لَهُ وَجْهِي وَقَدْ جَعَلَ الْمَهَا	إِلَى الْعُلْجَانِ الْعَمِّ وَالضَّالِّ يَخْرُجُ ^(١٧)
إِذَا أَوْقَدْتُ نِيرَانَهَا الْبِيدُ وَاشْتَوَتْ	جَنَادِبُهُ يَوْمَ مِنَ الصَّيْفِ مُنْضَجُ
قَطَعْتُ حِفَافِيَهَ بِذَاتِ بُرَايَةِ	مِنَ الْأُدْمِ تَزْهَى زَارَهَا حِينَ تَأْنِجُ ^(١٨)

وتتعدد تنويعات مليح على هذا الوتر في عديد من قصائده فيتفنن في وصف مخاطر الصحراء وأحوالها ، ويعرض إلى ناقتة فيصف صلابتها وقوتها ، ويعطف إلى نفسه فيبين جلده، وصبره ولكن اللافت هنا أن رحلة الصحراء تكاد تكون هي العنصر الوحيد في الفخر الذاتي عند مليح ، ويبدو أن مغامرة اجتياز الصحراء وأحوالها كانت تشكل جانباً من المثل الأعلى للرجولة والفتوة في عالم الصحراء ، ودليلنا على ذلك ما نراه من ذكر امرئ القيس لرحلة الصحراء على أنها واحدة من أربع تدعوه للتشبث بالحياة :

وأصبحتُ ودَعْتُ الصبا غير أنني أراقبُ خَلات من العيش أنبعا
فمنهنَّ قولِي للندامى تَرَفُّعُوا يُدَاجونُ نَشاحاً من الخمر مُنزعا
ومنهنَّ ركضُ الحَيْلِ تَرَجُّمُ بالقنا يبادرن سرباً آمناً أن يُفزعا
ومنهنَّ نَصُّ العيس والليلُ شاملُ تيممُ مَجْهولاً من الأرض بَلَقعا
خوارِجُ من بَرِيَّةٍ نحو قريةٍ يُجَدِّذنُ وصلأً أو يُقرِننَ مطمعا^(٧٦)

ونقع في شعر جميل بن معمر على ما يؤكد أن العربي كان يرى في خوض الصحراء مظهر فتوة ، بقدر ما يرى في حياة الدعة والاستقرار ، والركون إلى الرعي مظهر خمول وعجز وذلك في قصيدته الفائية :

ألا أيهذا اللاتمي أن أحبها تأمل كذا أيي وأيك أعنفُ
أجذك لم تحب فتخفق رسالة برحلك أو باقي الهباب مُشرفُ
عَلَنَدَى كَعِيرِ العُونِ قد شق نأبه على الأين فيه عزَّةٌ وتَعَجُّرُ
أَمْ انتِ امرؤُ ترعيَّةٌ جلُّ همِّه جمالٌ ومعزى لاتزال تُؤثِّقُ^(٧٧)

إلى آخر قصيدته .

إذن فلا جناح على مليح أن يجعل رحلة الصحراء عنوان فخره ودليل فتوته ، وآية جلده على تحمل كل المشاق ، ومنها حبيب ، أو صدوده .

أما الجانب الآخر من فخر مليح ، ونعني به الفخر القبلي فهو محدود المساحة ، إذ لا نراه إلا في قصيدة وأرجوزه ، أما القصيدة فهي القافية (تَشَوَّفَتْ إثرَ الطاعنِ المتفرِّقِ)^(٧٨) ، وأما الأرجوزة فهي قافية أيضا (يا دار ليلى من شباك الخائق)^(٧٩) وفي القصيدة يفتخر بأيام قبيلته في الجاهلية والإسلام ، ويفخر بأبيه الذي أصلح ما بين هوازن وقيم ، ويعدد جملة من ذوي الخطر قتلتهم قبيلته :

فإني كما قد تعلمين ابنُ حُرَّةٍ لَقَرَّم هجانِ وابنِ آلِ مُحَرَّقِ
وإني ابنُ صخرٍ ثم آلِ مؤمِّلِ هنالك حوضُ المجدِّ غيرِ المرتقِ
أبي نصبَ الرأياتِ بينِ هوازنِ وبينَ قميمٍ بَعْدَ خوفٍ مُحَدِّقِ
فلما رأوا قَوْماً وسَمَراً خضابها دماءُ الكماةِ في أنابيبِ مُرَّقِ
وسابغةً خُضراً وكُلَّ مُضَرَسِ بماءِ الحديدِ في صديدٍ وروثِ
سَمَوا نحو صخرٍ بالعيونِ وأعلنوا به ، ودَعَا مِنْهُمْ كُلُّ مُشْفِقِ

ومعني في الفخر ذاكراً يوم « أنف » الذي كان لهم على « سليم » وقتلهم (ابن حبواء)^(٧٣) و (عمراً) و (خالداً) و (ابن معتق) وهم في تقديرنا أبطال من سليم ومن ذوي الشأن فيهم :

ونحن بطحنا يوم أنف فلم تعد
غداة أسرنا في الجبال ملوككم
قتلنا ابن حبواء الذي كان خيرهم
وعمرأ نجلنا حلقه برشة
سليم بن منصور بجأواء فيلق
عناة بني الصباح وابن الملق
وزدنا عليه خالداً وابن معتق
متى ما تخالطها الأسنة تشهق

ويتسع نطاق الفخر لدى مليح ليتجاوز قبيلته مفتخراً بخندف كلها :

فإن افتخر أبلغ مدى المجد كله
وإن افتخر يوماً بخندف لا أجده
هم السمع والعينان والرأس كله
ألزبها الكفار عن كل منطقي
وإن اقتصر أبلغ سناء وأصدق
لها خطراً يوم الزمان المسبق

أما أرجوزته (يادار ليلي من شباك الخانق)^(٧٤) فلا يكاد يتجاوز فيها المحاور التي دار عليها في فخره في قصيدته القافية ، فيفخر أيضاً بخندف ومضر غير أن فخره يأتي عاماً غير محدد بوقائع وأيام على نحو ما نرى من قوله :

إنني لأني في الأشم الباسق
بين بيوت خندف المصالح
ومضر المنهري الشقائق
قلاً بين الغرب والمشارق
وبين أرض عدن وغافق
وبين أعلى جدس ودابق

ويعرج إلى الإسلام فيفخر بأن النبي - ﷺ - من قومه أي من مضر وذلك قوله الذي أوردناه في بداية بحثنا :

فضلنا الله بأمر رائق
بالعدل فينا والنبي الصادق
ونحن أهل الدار والسراقد

وعلى أي فالفخر القبلي عند مليح لا يكاد يتميز بشيء مما درج عليه شعراء الجاهلية والإسلام .

(٥)

وبناء القصيدة عند مليح يكاد يخضع لنهج مطرد إذ عادة ما يبدأ قصيدته بوصف الطعائن ، ومن خلاله نتعرف إلى صورة المحبوبة ومواجهه نحوها ، ثم يخرج من الطعائن إلى الفخر الذاتي أو القبلي والفخر - كما أسلفنا - وثيق الصلة بتجربة الحب عند مليح ، وبالعلاقتة بالمرأة ، وعلى هذا نستطيع القول : إن القصيدة عند مليح تحققت لها الوحدة على نحو من الأنحاء .

أما مادة الصورة عند مليح فهي منتزعة من البيئة المحيطة بحيوانها ونباتها ، وأجوائها ، وهي في عمومها مادة برية صحراوية فمن حيوان البيئة استمد غير صورة ، ففي إبراز جيد المحبوبة شبهه بجيد غزالة ترشح ولدها^(٧٦) . أو بمجدولة الجيد مرشح^(٧٦) ، ولإبراز حركة النساء المتحلمات في الصباح الباكر ، وانكماشهن من البرد شبههن بالمها تنحني على أولادهما تحت أصول الغضا^(٧٧) كما شبه دخولهن في الهوداج بولوح بقر الوحش في أعياصها^(٧٨) .

ودخل القطا ، والنعام ، والحمر الوحشية مادة في تشكيل صور حركة الناقة وسرعتها^(٧٩) ، كما استمد مليح من أصوات الصقور مادته في تشكيل صورة صريف أنياب النوق^(٨٠) كما كانت النوق ذاتها مادة لغيرها من الصور إذ شبه سواد الليل بأثباج البخاتي :

ولَيْلُ كَأَثْبَاجِ الْبَخَاتِي شَائِعٌ عَلَى الرَّمْلِ يُدْجِي مَرَّةً ثُمَّ يُسَدِّفُ^(٨١)

كما شبه أنين الرياح في الأطلال بتهديج أصوات النوق على أولادهما

هَلْ هَيَجْتِكَ طُلُولُ الْحَيِّ مُقْفَرَةٌ تَعْفُو مَعَارِفَهَا النَّكْبُ السَّجَاسِيْعُ
كَالْمَعُوذَاتِ رَجَعْنَ السَّجْعَ فِي هَوَاجٍ جُوفٍ لِهِنَّ عَلَى الْأَوْلَادِ تَهْدِيْعُ^(٨٢)

أما الأرانب البرية فاستمد الشاعر من حركتها مادته في تصوير حركة الرأس المقطوعة:

بضَرْبٍ تَرَى أُمَّ الدَّمَاعِ كَأَنَّهَا إِذَا نَدَرْتُ مِنْ جَوْهَرِهَا أُمَّ خَرْنِقٍ^(٨٣)

أما المادة النباتية فهي متنوعة في شعر مليح ، يدخل فيها الأثل والخزامى والأقحوان ، فمن (الأثل) أخذ مادته في تصوير حركة النساء :

نَهْضَنَ كَأَثَلِ الْمُنْحَنَى اعْتَمَتْ نَبْتُهُ وَأَغْرَقَهُ مَاءٌ رَوَى وَأَبْطَحُ^(٨٤)

ومن الخزامى والأقحوان أخذ مادته في تصوير طيب رائحة المحبوبة ، وبياض أسنانها^(٨٥) .

ومن بيثة هذيل - على وجه الخصوص - يأخذ مليح مادته في تصوير اهتزاز قدود النساء في مشبهن ، ولعل « مليح » أول شاعر يرد في شعره ذكر شجر الموز ، وذلك في قوله:

وَقَامَ خَرَاعِبُ كَالْمَوْزِ هَزَّتْ ذَوَائِبُهُ يَمَانِيَةُ زَخُورُ^(٨٦)

كذلك نرى في صور مليح مادة من المطر والرعد والبرق ، فالمرأة غمامة برقها عمل^(٨٧) ، والريق عليه شنان المرزمات^(٨٨) ، وصريف النوق رجيف مزن^(٨٩) والموت النازل على رقاب الأعداء شؤبوب^(٩٠) .

وتستوقفنا في شعر مليح تلك المادة التي استمدها من المنسوجات ، ففي غير صورة نرى رداء العصب أو الرداء المعصب يقول :

فَقَلُّ مَا لَبِثُوا حَتَّى اسْتَمَرَّ بِهِمْ بَيْنَ كَعَطِّ الرِّدَاءِ الْعَصْبِ مُنْجَرِدُ^(٩١)

ويقول في أخرى :

فَمَا كَانَ عَنْ يَوْمَيْنِ حَتَّى تَصَدَّعُوا لِبَيْنِ كَمَا انشَقَّ الرِّدَاءُ الْمَصِيحُ^(٩٢)

وكانت الخمر أيضا مادة لعدد من الصور عند مليح ، فيها استعان في تصوير حركة النساء وذلك في قوله :

خَدَا الشَّوَى قَبُّ الْبُطُونِ كَأَنَّمَا تَقْسُمْنَ رِيًّا الْبَابِلِيِّ الْمُعْتَقِ^(٩٣)

وفي قوله :

إِذَا هِيَ نَاءَتْ لِلْقِيَامِ تَخَضَّدَتْ تَخَضَّدَ مَتْنَى شَارِبِ الرَّاحِ مَائِلٌ^(٩٤)

كما أخذ من مذاق الخمر وصفه لريق صاحبه :

بَلَدْنِ بِهِ تَمَتَّاحُ عَذْبًا كَأَنَّمَا يُعَلُّ إِذَا مَا سَاقَطُ الثَّلَجِ يَنْضَعُ
بِرَاحٍ إِذَا مَا صَفَّقَتْ فِي زُجَاجَةٍ تَزِيدُ بِهِ طَوْرًا وَطَوْرًا تُصْرَحُ^(٩٥)

والخمر ليست غريبة على بيئة مليح ، فمعروف أن ديار هذيل كانت قريبة من أماكن بيعها والاتجار بها في الجاهلية .

وشيء آخر ربما يمت بصلة لبيئة مليح ذلك هو السفن فمعروف أن ديار هذيل قريبة من البحر الأحمر ، والسفن التي تمخر عبابه رائحة غادية ، فلا غرابة أن تكون السفن خطأ بارزاً من خطوط تكوين صورة مليح نرى ذلك في قوله :

جَوَافِلُ فِي السَّرَابِ كَمَا اسْتَقَلْتُ فُلُوكُ الْبَحْرِ زَالَ بِهَا الشَّرِيرُ^(٩٦)

وفي قوله :

مُصْطَفًى كَاصْطِفَانِ الْفُلْكِ لِالْجُنِّ تَحْتَ السَّيَاطِرِ وَلَا مَشْعُوقُهُ شُرْدُ^(٩٧)

وفي قوله :

وَقُلْتُ لَهَا عُوْجِي بَعِيرِكَ وَإِنْبَرِي بِهَا جُوْ جُوْ مِثْلُ السَّفِينَةِ أَهْوَجُ^(٩٨)

وفي قوله :

كَمَا نَشَصَتْ فِي الْبَحْرِ أَوْتَادُ قَادِسٍ مُرْسِيَّةٌ طَابَتْ لَهُ فَهَوَ جَانِلُ^(٩٩)

وتستوقفنا في شعر مليح بعض الصور التي تدل على دقة الملاحظة والقدرة على إبداع صلات شبه بين الأشياء المتباعدة وذلك مثل تصويره للحب ومعاناته بموم الربع أي الحمى :

بِهِ مِنْ هَوَاكِ الْيَوْمِ قَدْ تَعْلَمِينَهُ جَوَى مِثْلُ مَوْمِ الرِّبْعِ يَبْرَى وَيَلْعَجُ^(١٠٠)

ومثل تشبيه حركة الناقة تختال في مشيتها بحركة الخريع (الفاجرة) في تكسرهما وتشنيها :

لَجُوجٍ إِذَا اسْتَلَجَجَتْهَا ذَاتُ رَيِّعٍ إِذَا خُودِعَتْ زَهْوُ الْحَرِيرِ الْمُخَايِلِ^(١١)

تلك أبرز معالم المادة التي شكل منها « مليح » صورته الشعرية ، وهي - كما ترى - مادة قريبة مما يقع عليه الحس في بيئته المحيطة ، ومليح في ذلك قريب كل القرب من أولئك الشعراء الذين تميزوا في صورهم بمادة بدوية صحراوية مثل : بشر بن أبي خازم ، والحطيئة وكعب بن زهير ، وإن كنا نرى بين حين وآخر ملمحا مما يدركه الحس في بيئة هذيل وهذا أمر طبيعي .

أما بناء الصورة عند مليح فهو بناء يعتمد إلى استقصاء الجزئيات وتتبعها ، ومن ثم فالصورة لا تنقطع عنده في بيت واحد ، وإنما نراها آخذة في التنامي في عدة أبيات عدة ، والمليح طرائقه في إتمام الصورة ، فهو حيناً يعتمد إلى القص والسرد وتتبع الأحداث كما رأينا في تصويره لإعداد الرحل في النصوص التي اقتبسناها من شعره في هذا الجانب وحيناً آخر نراه يلجأ في إتمام الصورة إلى مراكمة الأوصاف وتتبع التفاصيل كما نرى مثلاً في وصفه لصاحبه :

مَهْضَمَةُ الْأَحْشَاءِ مَمْكُورَةُ الشَّوَى قَطُوفُ الْخُطَا ، خَلَخَالُهَا غَيْرُ جَانِلٍ
نَقِيَّةٌ بَيْنَ الْمَجْرَسِ كَأَمَّا كَسَتْ مُذْهَبًا مَجْرَى الدِّمُوعِ الْهَوَامِلِ
إِذَا اطَّرَدَتْ بَيْنَ الْوَشَاحِينَ حَرَكَتْ أَرَاخِي مُصْطَكٌ مِنَ الْحَلِيِّ حَافِلِ
إِذَا هِيَ نَاءَتْ لِلْقِيَامِ تَخَضَّدَتْ تَخَضَّدُ مَتْنَى شَارِبِ الرَّاحِ مَائِلِ^(١٢)

كذلك اتسمت الصورة عند مليح بالحركة فقلما نرى شيئاً ساكناً في شعره ، فإذا وصف النسوة وصفهن وهن يتحركن جيئة وذهاباً في إعداد الرحل ، وإذا وصف صاحبه وصفها في أثناء معالجتها لركوب البعير ، وإذا وصف الظبي أو الغراب رأيناه يعرضه حياً متحركاً :

غَدَاةٌ جَرَتْ لَنَا بِفِرَاقِ سَعْدَى ظِبَاءُ الْجِرْعِ سَانِحَةٌ تَعِيرُ
ظِبَاءُ غَيْرُ سَاكِنَةٍ وَحُمُّ الْخَوَافِي حَتْمُهَا عَجِلُ عَسِيرُ

وشحَّاجُ يَنْوُؤُ لِنَكْبِيهِ أَحْمُ كَأَنَّهُ قَرَسٌ مُغِيرٌ
نَذِيرَا الْبَيْنِ قَدْ عَلِمَا بُسْعَدَى وَأَيَّامُ الْفِرَاقِ لَهَا نَذِيرٌ^(١٠٣)

وإذا تعرض للربط والطيقان التي نشرها القوم على عصيهم وأسيافهم ليحتموا بها
من وهج الظهيرة وصفها وقد عبثت بها الريح فأخذت تخفق كأجنحة العقبان :

وَأَلْقُوا عَلَى أَسْيَافِهِمْ وَعَصِيَّهِمْ رَوَاقًا لَهُمْ ظَلَّتْ بِهِ الرِّيحُ تَعْصِفُ
مِنَ الرِّبْطِ وَالطَّيْقَانِ تَنْشُرُ فَوْقَهُمْ كَأَجْنِحَةِ الْعِقْبَانِ تَذْنُو وَتَخْطَفُ^(١٠٤)

كذلك نرى الصورة عند مليح تصخب بعدد من الأصوات من أصوات النوق ، إلى
أصوات الغريبان ، والظباء إلى أصوات الرعد إلى أصوات النوائح والنوادر .

وصفة القول إن الصورة تبدو في شعر مليح عامرة بالحياة . ربما لا يحول بين القاريء
الحديث وبينها إلا المعجم اللغوي المليء بغريب اللفظ الذي أثره مليح ، على أن مليحاً في
استخدامه لهذا المعجم كان ابن بيته هذيل التي تفردت بمعجمها اللغوي الخاص .

ذاك مليح بن حكيم شاعر الحب ، ووصاف الظعن ، نرجو أن نكون قد كشفنا عن شعره
اللاثام ، وألقينا عليه بعض الضوء .

الهوامش

- (١) السيرة النبوية لابن هشام ١٦٩/٣ .
- (٢) شرح أشعار الهذليين ١٢٢٢/٣ - ١٢٢٣ ، النواهل : المشتبهات للأكل كما تشتهي الإبل الماء ، التلة : الصرعة .
- (٣) لسان العرب لابن منظور ، مواد : رعب ، طلب ، وصب ، توج ، درج ، دلج ، رهج ، زلج ، سجع ، عنج ، لجج ، نفج ، برح ، شحم ، صحح ، نفح ، جسد ، ردد ، غرد ، عود ، جور ، حرر ، ضرر ، هشش ، أبط ، حطط ، سطع ، سلع ، قدع ، مرع ، سفف ، صدف ، صنف ، عزف ، حدق ، طوق ، غفق ، حفل ، عول ، جدم ، حتم ، عمم ، موم ، بطن ، جنن ، حين ، وله ، توا ، رخا ، رمي ، طخا ، ملا .
- (٤) التاج للزبيدي مواد : درج ، حطط ، بطن ، نوى ، رمى ، أبط ، وله ، جور ، حين ، محن ، عول ، شجع ، هشش ، شحم ، صدف ، عوذ ، طلب ، سدق ، وهج ، سطع ، عنج ، توج ، موم ، زلج ، سرى ، حتم ، برح ، توا ، قمرج ، جدم ، سلع ، عمم ، صنف ، قدع ، لجج ، ملو ، طوق ، زرف ، وصب ، رعب ، حرر ، دلج ، مفع ، ضرر ، ردد ، سجع ، وله .
- (٥) المخصص لابن سيده ٢٤/٣ ، ١٣٥/٨ ، ٤٥/٩ ، ٦٦:١٦ ، ٧٤:٦ ، ٥٤ ، ٢٠١ ، ٢٠٨ .
- (٦) المحكم لابن سيده ١٢٩/١ ، ١٠١/٣ ، ٢٩٧ ، ٣٤٤ ، ٢٥٧/٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٦ .
- (٧) التكملة للصغاني ، مادة : زرف ، ملو ، زلج ، رهج ، شحم ، عقق .
- (٨) أساس البلاغة للزمخشري ١٨٢/١ ، ٣٨٥ ، ٦/٢ .
- (٩) جمهرة اللغة لابن دريد ٢٢٥/١ .
- (١٠) معجم البلدان لياقوت : مواد : روضة عمق ، العراق ، حومى ، الشرى ، لفلف والفقير ، قفا آدم ، أعيار ، الفيض ، توج ، الجينية .
- (١١) معجم ما استعجم للبكري : الشرى ، حومى .
- (١٢) المشترك وضعاً لياقوت ، ٢٢٢ .
- (١٣) معجم الشعراء للمرزباني ص ٤٤٩ .
- (١٤) شرح أشعار الهذليين ١٠٩٩/٣ .
- (١٥) تاريخ الأدب العربي لبلاشير ، ص ٣١١ .
- (١٦) تاريخ التراث العربي لسزكين ٢٦٦/٢ - ٢٦٧ .
- (١٧) تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٨٤/١ .
- (١٨) شرح أشعار الهذليين ١٠٠٥/٣ .
- (١٩) المصدر نفسه ١٠٥٦/٣ .

- (٢٠) المصدر نفسه ١٠٥٦/٣ - ١٠٥٧ ، البرازق : الجماعات .
- (٢١) ديوان الخطيئة ص ٢٧٦ .
- (٢٢) شرح أشعار الهذليين ١٠٥٧/٣ ، المجلس : الجبل .
- (٢٣) الكامل في التاريخ لابن الأثير ٣٨٧/٢ .
- (٢٤) انظر تاريخ الطبري ج ١٠٤/٤ ، والكامل لابن الأثير ٣٩٥/٢ .
- (٢٥) شرح أشعار الهذليين ١٠٠٥/٣ .
- (٢٦) المصدر نفسه ١٠٠١٧/٣ .
- (٢٧) شرح أشعار الهذليين ١٠٤٣/٣ . لامعات الغور : السحاب ، تخوف : يصيبها الخريف .
- (٢٨) المصدر نفسه ١٠٥٢/٣ .
- (٢٩) المصدر نفسه ١٠٤٤/٣ .
- (٣٠) المصدر نفسه ١٠١١/٣ - ١٠١٢ .
- (٣١) شرح أشعار الهذليين ١٠١٧/٣ ، المزاينة : المعادة .
- (٣٢) المصدر نفسه ١٠٤٥/٣ ، لغبهم وإكثارهم ، يجنف : يميل .
- (٣٣) ديوان عنتره ص ١٩٠ - ١٩١ .
- (٣٤) شرح أشعار الهذليين ١٠٤٣/٣ ، قدعة : دراعة لا تبلغ ساقبيه . المسوف : المشمم .
- السخاب : قلادة تتخذ من قرنفل وسك ومحلب ، رفر : قرط .
- (٣٥) شرح أشعار الهذليين ١٠٥٧/٣ .
- (٣٦) المصدر نفسه ١٠١٢/٣ ، شكلاء : مداينة . ختور : خدوع . الإدهان : النفاق .
- (٣٧) شرح أشعار الهذليين ١٠٢٥/٣ - ١٠٢٦ .
- (٣٨) المصدر نفسه ١٠٣٩/٣ ، تجمع : تبعد ، المتبلع : الذي يقوم فلا ينهض .
- (٣٩) المصدر نفسه ١٠٠٢/٣ ، رمي : سحاب ، معرق : من ناحية العراق عراق البحر .
- (٤٠) المصدر نفسه ١٠٣١/٣ .
- (٤١) المصدر نفسه ١٠٤٥/٣ .
- (٤٢) المصدر نفسه ١٠٣٥/٣ . حب مزليج : فيه تغرير . ثبح البحر : وسطه ومعظمه ، تزعج : تُطرد .
- (٤٣) شرح أشعار الهذليين ٩٩/٣ - ١٠٠٦ .
- (٤٤) الميس : الرجال ، قطع : طنفسة ، غرق : وسادة .
- (٤٥) حطيط : لطيف ، غير مقلق : لا يجول .
- (٤٦) خدال : غلاظ ، الشوى : الأيدي والأرجل .
- (٤٧) شرح أشعار الهذليين ١٠٠١/٣ . مسوق : أي تبسطه وتسوقه ، أنواء : جمع نوى ،
- رضيخ : مكور ، محقق : مثل معين ، مثناته : زمامه .

- (٤٨) المصدر نفسه ١٠٠٨ - ١٠٠٩ ، الخراعب جمع خرعبه وهي الفتاة الشابة الرخصة ، عوهج : طويلة العنق ، النزبعة : التي أخذت من قوم آخرين فهي تنزع إليهم . الغروب : ماء الفم ، وقور : صدوق ، الطرة : الحاشية ، فضاذه : ما تكسر منه .
- (٤٩) المصدر نفسه ١٠٢٠/٣ - ١٠٢٩ .
- (٥٠) جلس : بغير عظيم . ناطل : شراب زبيب . الخصائل : خصائل اللحم . برحاؤه : شدته . صبابه : طرائق عرفة . سلب : طويل يعني قامتها . بنى : دعم
- (٥١) ديوان بشر بن أبي خازم ص ٥٤ .
- (٥٢) ديوان عنتره ص ١٩٣ .
- (٥٣) شرح شعر زهير بن أبي سلمى ص ٢٦٦ - ٢٦٧ .
- (٥٤) ديوان عمرو بن قميصة ، ص ١٥٩ - ١٦٠ .
- (٥٥) شرح أشعار الهذليين ٩٩/٣ .
- (٥٦) المصدر نفسه ١٠٣٢/٣ . الولايا : واحدها ولية ، وهو الكساء الذي تمت البرذعة . الوقيع : الدبر . تنتج : تقطر مثل النتائج . الأملج : بين الأبيض والأصفر .
- (٥٧) المصدر نفسه ١٠٠٧/٣ . القطم : المفتلم . الهجير : من الإبل الذي لم يرسل في الإبل .
- (٥٨) المصدر نفسه ١٠٠٧/٣ . المذاكي : البزل منها . المسدمات : التي حبست عن فحلها . الشبا الحدة في الأسنان .
- (٥٩) المصدر نفسه ١٠٢١/٣ .
- (٦٠) المصدر نفسه ١٠٢٢/٣ . غفارة : ثوب يكون على اليهودج .
- (٦١) المصدر نفسه ١٠٠٨/٣ .
- (٦٢) المصدر نفسه ١٠٣٨/٣ .
- (٦٣) المصدر نفسه ١٠٠٠/٣ .
- (٦٤) المصدر نفسه ١٠١٤/٣ .
- (٦٥) شرح أشعار الهذليين ١٠٠٦/٣ . سملق : أرض لاشيء فيها . مذعان : ناقة . المتبعق : المنصب بالماء .
- (٦٦) المصدر نفسه ١٠٣٠/٣ .
- (٦٧) كور : جماعة . الحقب : الحمير . الخلجان : جماعة العضاء . يجرج : يلجأ .
- (٦٨) براية : لحم وشحم . تزهى : ترفع . زارها : صوتها . تأنج : تدخل .
- (٦٩) ديوان امريء القيس ، ص ٢٤٠ . ترجم بالقنا : أي تعدو عدوا شديداً .
- (٧٠) ديوان جميل شاعر الحب والصحراء ، ص ١٣٦ . الرسالة : الناقة السهلة السير . الهباب : النشاط والسرعة . علندي : غليظ شديد . العون : جمع عانة وهي القطيع من حمر الوحش . الترعية : من صناعته وصناعة أبائه رعاية الإبل . تؤنق : يطلب بها الكلاً .

- (٧١) شرح أشعار الهذليين ٩٩/٣ - ١٠٠٦ .
 (٧٢) المصدر نفسه ١٠٥٣/٣ - ١٠٥٧ .
 (٧٣) ابن حبّواء : هو المعترض بن حبّواء الظفري ثم السلمي غزاه هذيلاً في جيش ومعه حمار فسمي جيش الحمار ، وقد لقي هو الجيش بني قرد من هذيل في « أنف » وهما داران إحداهما فوق الأخرى بينهما جبل قريب من جبل .
 معجم البلدان : أنف . ومعجم ما استعجم : أنف .
 (٧٤) شرح أشعار الهذليين ١٠٥٣/٣ - ١٠٥٧ .
 (٧٥) شرح أشعار الهذليين ١١٠٦/٣ .
 (٧٦) المصدر نفسه ١٠٤٠/٣ .
 (٧٧) المصدر نفسه ١٠٠١/٣ .
 (٧٨) المصدر نفسه ١٠٢٢/٣ .
 (٧٩) المصدر نفسه ١٠١٩/٣ ، ١٠٢٨ ، ١٠٢٩ ، ١٠٣١ ، ١٠٤٩ ، ١٠٥٥ .
 (٨٠) المصدر نفسه ١٠٢١/٣ .
 (٨١) المصدر نفسه ١٠٤٦/٣ ، الشّبح : الوسط ما بين الكاهل والظهر . يسدف : يضيء .
 (٨٢) المصدر نفسه ١٠٦١/٣ ، ربح سَجيج : لينة الهواء معتدلة ، وقد احتاج ملّيح فكسر سججا على سجاسج ، المعوذات الإبل ، الموج : جوفها .
 (٨٣) المصدر نفسه ١٠٠٥/٣ ، الخرق : ولد الأرنب .
 (٨٤) المصدر نفسه ١٠٣٨/٣ .
 (٨٥) المصدر نفسه ١٠١٥/٣ ، ١٠٢٤ ، ١٠٤٠ .
 (٨٦) المصدر نفسه ١٠٠٨/٣ .
 (٨٧) المصدر نفسه ١٠٠٩/٣ ، ١٠١٦ ، ١٠٣٤ .
 (٨٨) المصدر نفسه ١٠٢٥/٣ .
 (٨٩) المصدر نفسه ١٠٠٧/٣ .
 (٩٠) المصدر نفسه ١٠٠٤/٣ .
 (٩١) المصدر نفسه ١٠١٣/٣ منجرد : ذاهب ، عط : شق .
 (٩٢) المصدر نفسه ١٠٣٨/٣ المصيح : المشق .
 (٩٣) المصدر نفسه ١٠٠٠/٣ .
 (٩٤) المصدر نفسه ١٠٢٣/٣ . تخضدت : تكسرت .
 (٩٥) المصدر نفسه ١٠٤٠/٣ . اللدن : اللين يرد المسواك . قتّاح : تستاك .
 (٩٦) المصدر نفسه ١٠١٠/٣ . الشرير : شجر في البحر .
 (٩٧) المصدر نفسه ١٠١٤/٣ . اللجون : الثّقيلة ، البليدة ، مشعوفة : وآلهة إلى أوطانها .

- (٩٨) المصدر نفسه ١٠٣٤/٣ . انبرى : انطلق بها البعير .
(٩٩) شرح أشعار الهذليين ١٠٦٠/٣ ، قادس : سفينة عظيمة .
(١٠٠) المصدر نفسه ١٠٣٤/٣ . الموم : الجدري الكثير المتراكب ، والموم أيضاً الحمى .
(١٠١) المصدر نفسه ١٠٢٧/٣ . ذات ريع : تربع في العدو ، ترجع في المشي .
(١٠٢) شرح أشعار الهذليين ١٠٢٣/٣ .
(١٠٣) المصدر نفسه ١٠١٠/٣ - ١٠١١ . حمُ الخوافي : يريد الغريبان .
(١٠٤) المصدر نفسه ١٠٤٨/٣ . الطيقان : الطبالسة .

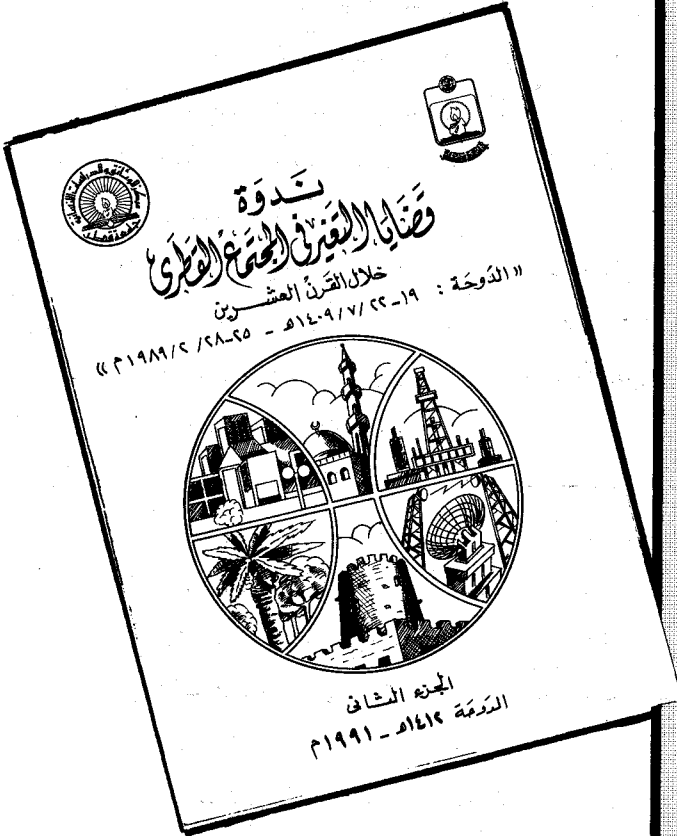
المصادر والمراجع

- ١ - أساس البلاغة : الزمخشري - جار الله أبو القاسم محمود بن عمر ، ط ١ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- ٢ - التاج (تاج العروس) : الزبيدي - محمد مرتضى الحسيني (١٢٠٥ هـ) ط . الخيرية ، مصر ، ١٣٠٦ م .
- ٣ - تاريخ الأدب العربي : د. ز. بلاشير ، ترجمة د. إبراهيم الكيلاني ، ط . دار الفكر ، دمشق ، ١٩٨٤ م .
- ٤ - تاريخ الأدب العربي : كارل بروكلمان ، نقله إلى العربية د. عبد الحليم النجار ، ط . دار المعارف .
- ٥ - تاريخ التراث العربي : فؤاد سزكين ، نقله إلى العربية د. محمود فهمي حجازي ، ط . إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، المملكة العربية السعودية ، ١٩٨٣ م .
- ٦ - تاريخ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك : الطبري - أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (- ٣١٠ هـ) ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط . دار المعارف ، ١٩٧٩ م .
- ٧ - التكملة والذيل والصلة : الصفاني - الحسن بن محمد (- ٦٥٠ هـ) تحقيق : عبد العليم الطحاوي ، ط . دار الكتب المصرية ، ١٩٧٠ م .
- ٨ - جمهرة اللغة : ابن دريد - أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري (٣٢١ هـ) ط . حيدر آباد الدكن .
- ٩ - ديوان امرئ القيس ، امرؤ القيس بن حجر الكندي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط . دار المعارف ، ١٩٨٤ م .
- ١٠ - ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي ، تحقيق : الدكتور عزت حسن ، ط . مديرية إحياء التراث القديم ، دمشق ، ١٩٦٠ م .
- ١١ - ديوان جميل شاعر الحب العذري ، جمع وتحقيق وشرح : الدكتور حسين نصار ، ط . دار مصر ، ١٩٧٩ م .
- ١٢ - ديوان الخطيئة ، رواية وشرح ابن السكيت ، تحقيق الدكتور نعمان محمد أمين طه ، الطبعة الأولى ، مطبعة المدني ، مصر ، ١٩٨٧ م .

- ١٣- ديوان عمرو بن قميصة، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، ط. معهد المخطوطات العربية، ١٩٦٥م.
- ١٤- ديوان عنتره: عنتره بن شداد، تحقيق محمد سعيد مولوي، ط. المكتب الإسلامي، ١٩٧٠م.
- ١٥- السيرة النبوية: ابن هشام - أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافري (٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، ط. البابي الحلبي، مصر، ١٩٥٥م.
- ١٦- شرح أشعار الهذليين: السكري - الحسن بن الحسن (٢٧٥هـ)، تحقيق: عبد الستار فراج، راجعه محمود محمد شاكر، ط. المدني، ١٩٦٥م.
- ١٧- شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، صنعه: الإمام أبي العباس أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني ثعلب، نسخة مصورة من طبعة دار الكتب المصرية، ١٩٤٤، الناشر الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٤م.
- ١٨- الكامل في التاريخ: ابن الأثير - أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد عبدالكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري (٦٣٠هـ)، ط. دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٨٣م.
- ١٩- لسان العرب، ابن منظور - أبو الفضل جمال الدين محمد بن المكرم الأنصاري (٧١١هـ)، ط. دار المعارف (د.ت).
- ٢٠- المحكم والمحيط الأعظم في اللغة: ابن سيده - علي بن إسماعيل (٤٥٨هـ)، تحقيق: مصطفى السقا، د. حسين نصار، ط. الأولى مطبعة البابي الحلبي، مصر.
- ٢١- المخصص: ابن سيده: أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي (٤٥٨هـ)، تحقيق: لجنة أحياء التراث، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- ٢٢- المشترك وضعاً والمفترق صقعا: ياقوت - شهاب الدين أبو عبد الله الحموي، مكتبة المثنى، بغداد.
- ٢٣- معجم البلدان: ياقوت - شهاب الدين أبو عبد الله الحموي (٦٢١هـ)، ط. دار صادر، بيروت.
- ٢٤- معجم الشعراء: المرزباني - أبو عبيد الله بن محمد بن عمران (٣٨٤هـ)، تحقيق سالم الكرنكوي، ط. بيروت، ١٩٧٣م.
- ٢٥- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع: البكري - أبو عبيد الله بن عبد العزيز (٤٨٧هـ)، تحقيق: مصطفى السقا، ط. عالم الكتب، بيروت.

صدر عن

مركز الوثائق والدراسات الانسانية



ندوة

قضايا التغير في المجتمع القطري

خلال القرن العشرين

"الدوحة : ١٩ - ٢٢ / ٧ / ١٤٠٩ هـ

- ٢٥ - ٢٨ / ٢ / ١٩٨٩ م"

الجزء الاول

الدوحة ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م

السعر :

٢٠ ريال قطري للجزء الواحد

جامعة قطر

الدوحة - قطر